سلسلة الزواج 6 [اَلْمُعَاشَرَةُ بِالْمَعْرُوفِ (2) الجمعة السادسة

اَلْخُطْبَةُ الْأُولَى:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَحْمَدُهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى نِعَمِهِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى آلَائِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اِنْفَرَدَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالْبَقَاءِ، وَأَسَّسَ عَلَاقَةَ الْإِنْسَانِ عَلَى الْمُعَاشَرَةِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّقَاءِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَكْرَمُ النَّاسِ عِشْرَةً، وَأَطْيَبُهُمْ صُحْبَةً، مَنْ رَآهُ مِنْ بَعِيدٍ هَابَهُ، وَمَنْ عَاشَرَهُ أَحَبَّهُ، فَصَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الْأَكْرَمِينَ، وَعَلَى صَحَابَتِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ

فَإِنَّ مِن بَعْضِ أَهْدَافِ خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ وَصَلَاتِها ؛ اَلتَّرْكِيزَ عَلَى حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ؛ وَخُصُوصًا دَاخِلَ الْأُسَرِ وَالْبُيُوتِ، تَنْزِيلًا لِمَا جَاءَ فِي الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ وَالْهَدْيِ النَّبَوِيِّ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمُعَاشَرَةِ الْحَسَنَةِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: (وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ).

عِبَادَ اللَّهِ؛ لَقَدْ أَكَّدَتِ الْخُطْبَةُ الْمَاضِيَةُ عَلَى مَوْضُوعِ الْمُعَاشَرَةِ بِالْمَعْرُوفِ بَيْنَ الْأَزْوَاجِ، وَأَنَّهَا الْأَسَاسُ السَّلِيمُ لِبِنَاءِ الْأُسْرَةِ الْمُسْتَقِرَّةِ عَلَى أَرْكَانِ السَّكِينَةِ وَالْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْفَضْلِ؛ مَعَ مَا تُثْمِرُ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَالْإِحْسَانِ وَالْإِيثَارِ وَالتَّفَانِي فِي خِدْمَةِ الطَّرَفِ الْآخَرِ.

وَالْيَوْمَ نُذَكِّرُ أَنَّ مِنَ الْمُعَاشَرَةِ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ تَمْتَدَّ ظِلَالُ الرَّحْمَةِ وَالْمَحَبَّةِ الْوَارِفَةِ عَلَى جَمِيعِ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي).

فَالْمُسْلِمُ مُطَالَبٌ بِمُعَاشَرَةِ وَالِدَيْهِ بِالْمَعْرُوفِ عَلَى قَدْرِ وُسْعِهِ وَإِحْسَانِهِ؛ أَنْ يَسَعَهُمْ بِخُلُقِهِ وَكَلِمَتِهِ الطَّيِّبَةِ، وَقَوْلِهِ اللَّيِّنِ قَبْلَ عَطَائِهِ وَمَالِهِ، وَحَقُّهُمْ بَعْدَ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى مُبَاشَرَةً فِي الْإِحْسَانِ وَالشُّكْرِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾. وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿أَنُ اُشْكُرِ لِي وَلَوَالِدَيْكَ﴾.

وَالْمُسْلِمُ كَذَلِكَ مُطَالَبٌ بِالْمُعَاشَرَةِ الْحَسَنَةِ لِزَوْجَتِهِ وَأَبْنَائِهِ؛ فَهُمْ أَهْلُهُ وَعِمَادُ بَيْتِهِ؛ وَذَلِكَ بِالْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ تُجَاهَهُمْ بِالْمَحَبَّةِ أَوَّلًا، ثُمَّ بِحَاجَاتِهِمُ الْمَادِّيَّةِ ثَانِيًا، وَعَلَى كُلٍّ مِنَ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ أَنْ يَكُونَ الْقُدْوَةَ لِلْآخَرِ وَلِلْأَوْلَادِ لِينًا وَرَحْمَةً وَلُطْفًا، وَتَعْلِيمًا وَتَرْبِيَةً، وَأَنْ يَتَحَمَّلَ الْمَسْؤُولِيَّةَ فِي كُلِّ مَا يَلْزَمُهُ الْقِيَامُ بِهِ شَرْعًا لِصَالِحِ الْجَمِيعِ؛ وَعَلَى هَذِهِ الْمَسْؤُولِيَّةِ يُمْكِنُ أَنْ تَقُومَ هَذِهِ الْمُعَاشَرَةُ عَلَى السَّكَنِ النَّفْسِيِّ وَالْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ،

وَالرِّفْقِ وَالْحِمَايَةِ الْـمَعْنَوِيَّةِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلَكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

عِبَادَ اللَّهِ؛ إِنَّ نَجَاحَ الْعَلَاقَاتِ الْأُسَرِيَّةِ يَكُونُ وَفْقَ قَوَاعِدِ الِاحْتِرَامِ الْـمُتَبَادَلِ، وَكَذَا وَفْقَ مَبَادِئِ الْحَيَاءِ وَقِيَمِ الْوَفَاءِ، ثُمَّ بِالتَّسَامُحِ فِي الْأَخْطَاءِ؛ فَهُوَ جُزْءٌ عَظِيمٌ مِنْ عَافِيَةِ الْأُسَرِ وَسَلَامَتِهَا، وَهُوَ خُلُقُ الْكِرَامِ، وَبِذَلِكَ تَسْعَدُ الْأُسْرَةُ وَتَعِيشُ حَيَاةً طَيِّبَةً، وَتَكُونُ مُكَوِّناً صَالِحًا فِي الْـمُجْتَمَعِ.

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَهَدَانِي وَإِيَّاكُمْ إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَـمِينَ.

اَلْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ؛

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِيِّ الصَّالِحِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى إِمَامِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْـمُرْسَلِينَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْـمُؤْمِنُونَ

يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ كَذَلِكَ أَنْ يُعَاشِرَ أَقَارِبَهُ بِالْـمَعْرُوفِ؛ وَهُمْ أَوْلَى بَعْدَ وَالِدَيْهِ وَزَوْجَتِهِ وَأَبْنَائِهِ بِبِرِّهِ وَإِحْسَانِهِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْـئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْـمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتَ اَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.

لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ التَّوْجِيهَ أَسَاسًا، وَجَعَلَ مِنْ أَهَمِّ تَطْبِيقَاتِ ذَلِكَ الْعِنَايَةَ بِذَوِي الْقُرْبَى؛ وَهُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْكَ، وَأَوْلَاهُمْ بِعَطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ وَعَطَائِكَ، فَـ(الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ). ثُمَّ مَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْيَتَامَى وَالْـمَسَاكِينِ وَالْجِيرَانِ وَابْنِ السَّبِيلِ؛ كَمَا فَصَّلَتْهُمُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ السَّابِقَةُ، وَخُتِمَتِ الْآيَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾. لِبَيَانِ أَنَّ الْكِبْرَ وَالْخُيَلَاءَ وَالِافْتِخَارَ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْـمُؤْمِنِ، وَلَا مِنَ الْـمُعَاشَرَةِ بِالْـمَعْرُوفِ الْـمَطْلُوبِ شَرْعًا؛ وَذَلِكَ لِـمَا تُفْضِي إِلَيْهِ مِنْ قَطِيعَةِ الْأَقَارِب خَاصَّةً، وَالنَّاسِ عَامَّةً.

عِبَادَ اللَّهِ؛ إِنَّ الْـمَذَاهِبَ الِاجْتِمَاعِيَّةَ فِي عَصْرِنَا الْحَاضِرِ، لَهَا تَصَوُّرَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ لِلْأُسْرَةِ يَدُورُ عَلَيْهَا التَّنَافُسُ، وَمَنْ تَأَمَّلَ فِي هَدْيِ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأُسْرَةِ سَيُدْرِكُ أَنَّ الْقِيَمَ الْـمَطْلُوبَةَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ هِيَ الْـمَخْرَجُ لِلْإِنْسَانِيَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ، وَعِنْدَمَا نَتَحَدَّثُ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَعَلَيْنَا أَنْ نَّنْتَبِهَ إِلَى أَنَّ عَدَدًا مِنَ الْعَوَائِدِ

وَالتَّصَوُّرَاتِ الْخَاطِئَةِ تَتَحَكَّمُ فِي سُلُوكِ الْعَلَاقَةِ مَعَ الرَّجُلِ، وَهِيَ لَيْسَتْ مِنَ الْكِتَابِ وَلَا مِنَ السُّنَّةِ إِذَا خَرَجَتْ عَنِ الْحَقِّ وَالْـمُسَاوَاةِ وَالْـمَرْحَمَةِ.

أَلَا فَاتَّقُواْ اللَّهَ – عِبَادَ اللَّهِ -، وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَاعْلَمُواْ أَنَّ الْـمُعَاشَرَةَ الْحَسَنَةَ مِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْفَوْزِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ قَطِيعَةَ الرَّحِمِ مِنْ أَسْبَابِ الشَّقَاءِ وَعَدَمِ الْـمَغْفِرَةِ وَعَدَمِ قَبُولِ الْأَعْمَالِ.

وَأَكْثِرُواْ مِنَ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ أَكْرَمِهِمْ لِأَهْلِهِ، وَأَحْسَنِهِمْ خُلُقًا مَعَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، عَدَدَ خَلْقِكَ وَرِضَى نَفْسِكَ وَزِنَةَ عَرْشِكَ وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ الْـمَهْدِيِّينَ؛ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ بَاقِي الصَّحَابَةِ مِنَ الْـمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ وَاقْتَفَى أَثَرَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَانْصُرِ اللَّهُمَّ مَنْ وَلَّيْتَهُ أَمْرَ عِبَادِكَ، وَبَسَطْتَّ يَدَهُ فِي أَرْضِكَ وَبِلَادِكَ؛ وَلِيَّ أمْرِنا خَادمَ الحَرمِينِ الشريفين نَصْرًا عَزِيزًا تُعِزُّ بِهِ الدِّينَ، وَتَرْفَعُ بِهِ رَايَةَ الْإِسْلَامِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، اَللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، وَاحْفَظْهُ بِسِرِّ كِتَابِكَ وَأَلْطَافِكَ الْخَفِيَّةِ، وَأَقِرَّ عَيْنَه بِوَلِيِّ عَهْدِهِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ مُجِيبٌ، اَللَّهُمَّ جَمِّلْنَا بِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، وَجَنِّبْنَا سَيِّئَهَا، رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ، وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ أَئِمَّةً مُهْتَدِينَ، غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ، اَللَّهُمَّ ارْحَمْنَا وَارْحَمْ آبَاءَنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَسَائِرَ مَوْتَانَا وَمَوْتَى الْـمُسْلِمِينَ، رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْـمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَـمِينَ.